



مسرحية جولة الإعادة ، أهم الصفقات في تاريخ الإخوان

بقلم : رانف محمد الويشي

20 يونيو 2012

لم يحدث في الأربعين سنة الماضية أن مرت أي مواجهة بين الشعب المصري وبين قيادته دون أن يكون للإخوان فيها صفقة مع النظام ، ينحازون بموجبها إلى جانب من بيده القوة ويتقاسمون معه الغنيمة ، هذه حقيقة لكل مراقب محايد للوضع المصري ، وقد زادت تلك الحقيقة في وضوحها في العقد الأخير ، وزادت أكثر منذ الأيام الأولى للثورة وما تلا ذلك من أحداث ، فقد كانوا يأكلون مع الذئب العسكري ، ثم يذهبون بأعصاب هادئة ليبيكون مع الراعي في ميدان التحرير ..

لقد بدأت جولة الانتخابات الرئاسية الأولى في يومي 23 / 24 من الشهر الماضي وظهرت نتائجها بعد ذلك بأسبوع ، وستدخل مصر جولة الإعادة في يومي 16 / 17 من يونيو الحالي ..

إن السؤال الذي يجب أن يُطرح على عقول المراقبين المحايدين هو: هل مرت الانتخابات التشريعية (28 نوفمبر 2011 وحتى 11 يناير 2012) ، وكذلك انتخابات المرحلة الأولى الرئاسية (23 / 24 مايو 2012) دون أن يعقد الإخوان صفقة فيها مع من بيدهم القوة ؟ ..

الحق أقول أن شيئاً ما داخلي كان يرجح أن الإخوان سينحازون في انتخابات المرحلة الأولى الرئاسية إلى جانب الشارع ، صحيح أن أعمالهم منذ قيام الثورة كانت تصب في غير هذا الظن النبيل ، لكنني كنت أحاول أن أجد فعلاً لهم يتناسب مع هيبة تلك الانتخابات لأنها وحدها تتناسب مع ما قدمه الشارع من شهداء وجرحى ..

إن نتائج الجولة الانتخابية الرئاسية الأولى تبين أن هناك جراحاً ماهراً يقبع في جهاز الأمن المصري قد أجرى بمشرطه الدقيق رسماً بالغ التعقيد ، يضع فيه المواطن المصري بين خيارين مُرَّين ، إما الفلول أو الإخوان !
حجم الصفقة جريء للغاية لأن فيه تحد صارخ للدماء التي سالت على الأرض من أجل رفعة مصر ، كان أجراً ما فيها هو أن يفوز أحمد شفيق في الجولة الأولى وليس عمرو موسى (وهو الأقرب إلى العقل) ، لكنه حدث لأن المخرج كان يريد ذلك ..

إن حجم الجريمة التي جرت على الشعب المصري في الثلاثين سنة الماضية لا تعطى لأحمد شفيق أي حظ في الفوز بأكثر من 10 % في الجولة الأولى ، وإذا قارن أي مواطن متوسط الثقافة بينه وبين عمرو موسى ، فالثابت أنه سيختار موسى ، فيد عمرو موسى لم تكن منغمسة في الفساد المالي كما كان أحمد شفيق ، ولم تلتخ بدماء الشهداء كما فعلت يد أحمد شفيق رئيس وزراء موقعة الجمل ، ولم تضع تصريحاته الملح في الجراح كما كان – وما زال – يفعل أحمد شفيق ، ضارباً بمشاعر المصريين في شهدائهم عرض الحائط ، وفوق هذا وذاك فإن خبرة عمرو موسى الميدانية في العمل السياسي تتفوق بقسوة على خبرة أحمد شفيق ..

السيد عمرو موسى كان يدرك دائماً تلك الفوارق الحاسمة بينه وبين الفريق أحمد شفيق ، ومن الطبيعي أن يقول قبل إجراء الجولة الأولى من الانتخابات " أنا أرحب بانضمام السيد أحمد شفيق إلى فريقتي " ، ولم يكن في ذلك أدنى مبالغة على قوته بالمقارنة بالموقف المنهار الذي فيه – وما زال – الفريق أحمد شفيق ..

بعد أن ظهرت نتائج انتخابات الجولة الأولى الرئاسية ، لاحظت أن عقلي الباطن أخذ يضغط على فمي ، لقد وجدت نفسي أردد بعض الأبيات الشعرية لقصيدة " وقف الشريط " للمبدع صلاح جاهين ، ولفت ذلك أيضا انتباه أولادي على براءتهم :
وقف الشريط في وضع ثابت
دلوقتي نقدر نفحص المنظر
ما فيش ولا تفصيلة غابت
وكل شيء بيقول وبيعبّر

إذا أردنا أن نعرف محتوى هذا الشريط الذي توقف في تلك الأيام بوضع ثابت ، وإذا أردنا فهم ما يجري في الغرف المغلقة بين الإخوان المسلمين وبين المجلس العسكري ، وإذا أردنا اكتساب بعض الخبرات الطبية فيما يقوم به جراح المجلس العسكري بمشرطه الدقيق ، إذا أردنا ذلك كله فعلينا العودة إلى أصل الحكاية منذ البداية ، حتى نستوعب ما يظهر على الشريط في وضعه الثابت ..

هناك ... ، من وراء تلال وغيوم هذا الزمان الرديء يوجد جبل كبير من الأسرار ، تراكمت حجراته الثقيلة في وزنها والكبيرة في حجمها على مدى 42 عاما ، جبل من الجرائم السياسية والمالية والإنسانية ، ضحاياه هم شعب مصر ، ونتاجه كانت سوداء على ماضي مصر ، وستكون أكثر سوادا على حاضرها ومستقبلها ..

تفاصيل البناء الخرساني لهذا الجبل معلومة في جهاز المخابرات العامة ، المجلس العسكري على علم تام أيضا بتفاصيل كل حجر في هذا الجبل ، ونستطيع أن نذكر خمس محطات مركزية في بطن هذا الجبل ، وهي كما يلي :

- 1- اغتيال جمال عبد الناصر ، والأطراف المشتركة في الجريمة ..
- 2- عمالة أنور السادات للمخابرات المركزية الأمريكية ، ومن يقف وراء تجنيده ..
- 3- حقيقة ما جرى في حرب أكتوبر ..
- 4- الجرائم السياسية (خاصة مع إسرائيل) والمالية والإنسانية لحسن مبارك ومن هم أسماء عصابته ، خاصة داخل الجيش ..
- 5- تفاصيل دولة الجيش داخل مصر ، تلك الدولة التي يسيطر الجنرالات فيها على آلاف الشركات بأسماء وهمية تدر عشرات المليارات من الجنيهات ، ويصر الجنرالات – ويؤيدهم الإسلاميون تزلفا ونفاقا وجهلا – على وضع ميزانية الجيش وأسماء تلك الشركات خارج دائرة أجهزة الدولة المحاسبية ..

أحسب أن الانتخابات الرئاسية لو جرت بصورة نزيهة ، لقدمت الإجابة الشافية الوافية على تلك الأسئلة الخمسة التي تُكوّن المحطات الرئيسية في جبل الأسرار في مصر ..

أحسب أن الخطوة التالية لكشف جبل الأسرار ستكون – في حال إجراء الانتخابات بصورة نزيهة - إجراء المحاكمات لكل من اشترك في تلك الجرائم ، فالفائد النزيه الذي اختاره الشعب لن يتردد في عرض كافة الحقائق على من اختاروه ..

أحسب أن بحرا من الدماء كان سيجري في أعقاب تلك المحاكمات ، فحجم العقاب في دولة العدل لا بد وأن يتناسب بدقة شديدة مع حجم الكوارث التي جرت على أرض مصر في تلك العقود الأربعة ..

جراح المجلس العسكري حدد مراحل العملية الجراحية لإخفاء جبل الأسرار ، خط بقلمه على مواقع اللعب في جسد مصر المخروسة ، المنبطح على وجهها في بركة دماء شعبها في عنبر مظلم تحت الأرض ، كتب أسماء اللاعبين كلهم ، من معه ومن ضده ، وجرى التنفيذ بإتباع خطوات دقيقة في ترتيبها ، وهي ما يلي :

1- إنهاء الشارع الذي قام بالثورة : وتعتبر هذه المرحلة هي أهم المراحل في إخفاء جبل الأسرار ، فكلما بذل الجراح فيها من مجهود وأظهر من خبرة عالية كلما تحققت أهداف المرحلة ، ويتم ذلك بإنزال ضربات متتالية على الجسد حتى يستنفذ ويستنزف كل مجهوده ليضمن الجراح عدم مقاومته للعضو الذي سيتم زراعته داخله ، وذلك على النحو التالي :

* نشر الفوضى بين الناس ، لإقناع الشعب بأن الثورة ستجلب لهم عدم الأمان ..

* تخريب متعمد للاقتصاد المصري ، لإقناع الشعب بأن الخراب هو من صنع الثورة ..
* صناعة الأزمات لإجبار القادرين على الظاهر بالخروج والكشف عن أنفسهم ، ثم الدخول معهم في معارك لإتهاكهم ..

2- شق صف الشارع : وهذه المرحلة كانت يسيرة لأن الإسلاميين (وأقصد بذلك الإخوان المسلمين والسلفيين) يتسابقون بالتزلف للمجلس العسكري ليحتل كل منهما المقعد الأول قبل الآخر ، والطبيعي أن يفوز بهذا المقعد الإخوان المسلمون بسبب حجمهم وخبرتهم التاريخية في الصفقات ، فهم كانوا سابقين في ذلك قبل السلفيين قبل انتصار الثورة بعقد اجتماعات مع عمر سليمان ، وجاءت تصرفاتهم عقب ذلك لتؤكد على أن اجتماعات قصر العروبة لم تكن غلطة عابرة ، بل نهجا مدروسا بدقة ..

3- مرحلة الإخراج النهائي : وهي مرحلة هامة لأن جراح المجلس العسكري يقرر فيها من يدخل اللعبة ومن يخرج منها ، وما هي نسبة النجاح لكل لاعب ، وهل سيكون اللعب من جولة واحدة أو جولتين ، وما هي قنابل الدخان التي ستحقق سياسة الإشغال ولفت الانتباه (مثل دستورية العزل أم غير ذلك وكذلك مثل مسرحيات تبدا كمعارك بين المجلس العسكري ومعهم مرشحهم أحمد شفيق وبين الإخوان الممثلين داخل مجلس الشعب وخارجه ومعهم مرشحهم محمد مرسى ، لإضفاء رائحة الديمقراطية على المشهد) ..

كان لابد أولا أن يقوم الإخوان المسلمون بإثبات جديتهم في عقد الصفقات ، وكان ذلك بإجراء استفتاء ملغم للشعب البريء الذي قدم التضحيات ، وقدم الإخوان من خلاله لقمه مسمومة - لن ينساها لهم التاريخ - تنص على حصانة إلهية للجنة المشرفة على الانتخابات الرئاسية ..

كان لابد ثانيا أن يقوم المجلس العسكري بالترجمة الفعلية بالرد على الإخوان خصوصا والإسلاميين عموما ، فعلا لا قولاً بالتقاسم مع الإسلاميين ، وحدث ذلك بفوزهم الساحق في انتخابات مجلس الشعب ، وانفرادهم بالسلطة التشريعية ..

كان لابد ثالثا أن يذهب حازم أبو إسماعيل إلى بيته ، ليس لأن والدته حاصلة على الجنسية الأمريكية ، ولكن لأنه يهاجم بإخلاص المجلس العسكري منذ البداية ويرفض عقد الصفقات معه ، ولو تركوه لفضحت شعبيته الإخوان ، هكذا نزل عمر سليمان وخيرت الشاطر الملعب وارتدى كل منهما الثورت كي يلعبا - إتفاقاً - بعقول المشاهدين بالمدرجات ، ثم يتم استبعادهما في مرحلة تالية مع حازم أبو إسماعيل ، فتفوح بذلك توابل العدالة والوقوف على مسافة واحدة مع الجميع ، وتدخل عقول وأنوف من يشم غير ذلك ..

وكان لابد رابعا من بقاء شخصيات نزيهة في الانتخابات ، مثل حمدين الصباحي وعبد المنعم أبو الفتوح ، بل وضم أعداد أخرى غير مؤثرة للعبة من نفس العجينة ، لفتح الجبهات وعدم تركيز الأصوات ، فكلما زاد عدد المخلصين كلما دل ذلك على نزاهة وحيادية المجلس العسكري ..

حدث قبل أسبوعين من إجراء الجولة الانتخابية الرئاسية أن ظهرت عمليات استطلاع لمسح آراء الناس ، كانت أغلب تلك الاستطلاعات المؤثرة من صنع المجلس العسكري ، كان الغرض الأساسي منها هو عدم إتحاد حمين الصباحي مع عبد المنعم أبو الفتوح ..

لقد وضع بعض تلك الاستطلاعات عبد المنعم أبو الفتوح في المقدمة ، وفعل الشيء ذاته بعضها الآخر مع حمدين الصباحي ، كان الغرض واضحا ، وهو إقناع كل منهما أنه قادر إما على الحسم من الجولة الأولى ، أو التقابل - في أسوأ الظروف - مع الآخر في الجولة الثانية وتحقيق الحسم ..

لقد أدركت كوكبة من مثقفي وعشاق مصر لعبة تلك الاستطلاعات ، فبذلوا جهدا خارقا لدى كل من الطرفين كي يتحدا ويتجنبوا الفخ المنسوب لهما ولمصر ، لكن كل منهما عاند وأصر على مواصلة الرحلة وحده دون الآخر ..

نزع إن السيد محمد البرادعي والسيد عمرو موسى هما الوحيدان اللذان شعرا بمشروط جراح المجلس العسكري وهو يتوغل في جسد مصر لإخفاء جبل الأسرار ، ربما يعود ذلك وبدرجة كبيرة إلى عاملين مهمين :

- 1- معرفتهما شبه الكاملة بحجم جبل الأسرار ، كواقع يختفي بوثاقه من وراء الستار ..
- 2- معرفتهما بوجود أفراد داخل المجلس العسكري سطيير رقابهم إذا جاء إلى الحكم من يكشف هذا الجبل ..

لقد خرج محمد البرادعي من الحملة لأن أهم نقاط ضعفه كانت تكمن في عدم وجود داعمين له على الساحتين الإقليمية والدولية يضمنون عدم الفتك به على أيدي المجلس العسكري ، بل إنني أزعم أن هناك من كان يتربص به في هاتين الساحتين ويقنعه بالتقدم إلى مذبح الترشح ، ليدفع لاحقا من دمه ثمن حياده في الملف النووي الإيراني ..

أما السيد عمرو موسى ، فيبدو أنه كان يشعر أن علاقاته القوية مع العروش العربية تضمن له البقاء ، كما يبدو أيضا أنه تلقى ضمانات من تلك العروش تؤكد رضاء المجلس العسكري عليه وعدم تعرضه للقتل لاحقا ..

إنني أعتقد كباحث أنه حتى لو قبل الأستاذ حمدان الصباحي الإتحاد مع د. عبد المنعم أبو الفتوح ، فإن نتيجة الطبخة كانت ستأتي بمحمد مرسى ليتقابل مع الفريق أحمد شفيق ، كي يفوز في النهاية أي منهما برئاسة مصر ويواصل العمل على إخفاء جبل الأسرار ، ولو اطمأن الأمريكيون لموقف حمدان أو أبو الفتوح من اتفاقية السلام مع إسرائيل لكان من الممكن فوزهما ..

المجلس العسكري لا يقف وحده في إدارة ما يجري ، إمكانيات أفراده الإدارية المتواضعة لا تحقق وحدها تلك الخطوات الماهرة في هذه العملية الجراحية الدقيقة ..
هناك أطراف دولية ترسم الخطط وتحدد الأدوار وتقوم بتوزيعها ، وأخرى إقليمية تمتد بالمال والوعود والإقناع وضمنان العهود بغرض إشراك الإسلاميين مع الجنرالات في تقاسم السلطة ، فهي – أي تلك الأطراف الإقليمية - ستكون متضررة بقوة لو انكشف جبل الأسرار ، خاصة في المحطتين المركزيين الأولى والثانية ..

أعتقد أن المجلس العسكري قد قبل على مضض وبضغوط خارجية بالإخوان خصوصا والإسلاميين عموما كشرريك مؤقت في السلطة حتى تمر العاصفة ، سيلي ذلك الإستقواء عليهم - منعزلين عن القوى الثورية - وتوجيه ضربة قاضية إليهم بعد أن يفشلوا في إصلاح " خرابة " مساحتها مليون كم مربع ، فصناعة الشربيات من الفسيخ تعتبر مستحيلة ، ورغم ذلك قبل الإخوان بهذا الكرسي الملغم من الداخل والخارج ..

(لمزيد من المعلومات ننوه إلى مقال بعنوان " مستقبل مصر الأسود ، والرابع المتبقي " .. لكاتب المقال على مدونته)

رغم التحذير المتكرر للإخوان بالبعد عن حضن المجلس العسكري لأن في هذا الحضن تكمن نار حارقة لهم ولمصر ، إلا أنهم واصلوا طريقهم بعناد وإصرار ، بدءًا باجتماعاتهم مع عمر سليمان وطعن الثوار في الميدان ومرورا بأحداث شارع محمد محمود والحصانة الإلهية التي منحوها للجنة الانتخابات الرئاسية وإنهاءً بما نحن فيه الآن من تشرذم ..

اللمسة الأمريكية واضحة في سيناريو الأحداث ، مصر بحجمها وتأثيرها لا يمكن تركها كي يتسلمها وطنيون ثوريون يديرون سدة الحكم فيها ، أوباما الديمقراطي لن يكرر خطأ كارتر الديمقراطي عندما ترك إيران للثوار ، أمريكا بقوتها تدفع حتى اليوم ثمن هذا الخطأ الإستراتيجي الذي فعله كارتر ، فما جرى ويجرى وسيجرى من أحداث في الخليج يؤكد على أن فاتورة الدفع الأمريكية والإقليمية ستستمر في المستقبل الغير قريب بالتصاعد والسخونة بسبب إيران الثورة ، والكارثة أن تتعاون مصر الثورة مع إيران الثورة فيتم تهديد ما بينهما في الصميم ، لهذا لزم التدخل الجراحي السريع ، بالجلوس على الكرسي الملغم ..

رانف محمد الويشي

سانت لويس - ميزوري - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com